ابو جعفر عبد الله المأمون

198 - 218 هـ / 813 - 833 م

التعريف بالمأمون

هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد القرشي الهاشمي ، ابو جعفر امير المؤمنين وأمه ام ولد يقال لها مراجل الباذغيسية . ولد عام (170 هـ / 786 م) ولاه والده العهد وهو في سن الثالثة عشرة من عمره . بويع له بالخلافة في عام (198 هـ / 813 م) وكان بالري وقدم الى بغداد في عام (204 هـ / 819 م) .

اشتهر المأمون بصفات ميزته عن باقي الخلفاء العباسيين منها : ميله الى العفو وكراهيته للانتقام ، وكرمه الذي فاق كرم كافة الخلفاء العباسيين ، وقوة حجة الاقناع لديه . كان حاضر البديهة سريع الجواب اديبا يعرف جيد الشعر من رديئه . ويحب سماع الغناء .

الاوضاع الداخلية في عهد المأمون

<u>الاوضاع في بغداد بداية عهد المأمون</u>

اراد الفضل بن سهل ان يقطف ثمار انتصاره فلم يكد نبأ قتل الامين يصل الى مرو حتى نصح الخليفة بإحداث تغيرات في الادارة تتماشى مع الوضع الجديد . وقد هدف الى ابعاد القائدين طاهر بن الحسين وهرثمة بن اعين عن العراق للتفرد بحكمه .

استجاب المأمون لنصيحة وزيره فعزل طاهر بن الحسين عن العراق وعين اخاه الحسن بن سهل عليه كما ارسل هرثمة بن اعين الى خراسان وقد ادى ابتعاد هذين القائدين عن العراق الى انتشار الاضطرابات فيها .

ومن جهته اراد الخليفة ان يكافئ وزيره فخلع عليه لقبا جديدا هو (ذو الرئاستين) اي رئاسة السيف ورئاسة القلم ، وهذه خاصية تدل على مدى النفوذ الواسع الذي وصل

اليه هذا الرجل الفارسي . والى جانب هذه الخاصية تمتع الفضل بخاصية الإمرة وهو اول وزير لقب ، وأول وزير اجتمع له اللقب والتأمير ، وكان يقال له (الوزير الامير) وفوض اليه ايضا ادارة شؤون الدولة .

سبب هذا التصرف من جانب المأمون سخط العناصر العربية واستياء بني هاشم ووجوه الناس فنشبت الفتن في بغداد وبايع سكانها المنصور بن المهدي عم المأمون وقد رفض قبول البيعة له بالخلافة وان كان قد وافق على ان يلي امر بغداد باسم المأمون .

مما ساعد على تأجيج الوضع ضجر لناس من هذا النزاع وما افرزه حتى تمنوا الخلاص . مما زاد الأمر تعقيدا وخطورة كف يد الطاهر القوية عن العراق وضعف حكم الحسن بن سهل وميل المأمون الى العلويين وقد ظهر ذلك بصورة فجائية و لأول مرة وتمثل في البيعة للإمام علي الرضا (عليه السلام) .

وهكذا نشبت الحرب الاهلية في بغداد فتوقفت اعمال الحكم والإدارة وتعرضت قرى جنوبي العراق لنهب المرتزقة . وغدت الاوضاع في بغداد من النوع الذي لا يطاق بعد ان امتلأت الشوارع باللصوص .

نشبت هذه الاضطرابات على ادارة المأمون وهو بمرو لا يصل اليه شيء من اخبار بغداد وقد حجبه الفضل بن سهل وكتم الامر عنه .

البيعة للإمام على ابن موسى الرضا(عليه السلام)

حدث اثناء اقامة المأمون في مرو ان مال الى العلويين ولبس الثياب الخضراء شعارهم وطرح السواد شعار العباسيين وصاهر الامام علي بن موسى بن جعفر الصادق (عليه السلام) وهو الامام الثامن من ائمة الشيعة الامامية الاثني عشرية ثم ولاه عهده في (شهر رمضان عام 201 هـ / شهر نيسان في عام 817 م) .

لكن هذه البيعة لم تمر دون ان تخلف اثرا لذلك فهي تحتاج الى قراءة متأنية ووقفة تأمل لسبر دوافعها ونتائجها .

اما من حيث الدوافع فلا بد لنا من العودة قليلا الى الوراء لدخول مجالي القصر في عهد الرشيد ونشهد المناقشات الفكرية والسياسية لأهل الكلام من معتزلة وشيعة التي كانت تعقد بتشجيع من البرامكة وكانت الخلافة احد ابرز مواضيعها .

وقد حصل تقارب بين المذهبين المعتزلي والشيعي نتيجة نظرتهما المشتركة في موضوع الخلافة . فيرى اكثر علماء المعتزلة بأحقية الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) بالخلافة وهذا هو رأى الشيعة .

وقد نشأ المأمون في ظل هذه المناقشات الفكرية وتأثر بمضامينهما لذلك تبنى اراء المعتزلة خاصة في موضوعي الخلافة وخلق القرآن . ونلاحظ ان الشهود الذين وقعوا على وثيقة العهد للامام علي الرضا (عليه السلام) كانوا من المعتزلة المعروفين بميولهم العلوية كما وقعها كبار المتشيعين .

الى جانب هذه الظاهرة فقد تربى المأمون في بيئة فارسية بفعل هوية والدته الفارسية تؤمن بأحقية الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) و اولاده من بعده بالخلافة وارتبط ارتباطا وثيقا بخراسان فأظهر التشيع ومال للعلويين .

وتأثر المأمون بالظروف السياسية التي عاشها اثناء نزاعه مع اخيه الامين خاصة اذا علمنا ان هذا النزاع اصطبغ بالصبغة العنصرية ، وان الفضل بن سهل الذي مثل التطلعات الفارسية وقف بشدة وراءه حتى ضمن له النصر . لذلك لم يجد المأمون بدا من ارضاء مشاعر الفرس الذين كانوا يقدرون آل علي بن ابي طالب (عليهم السلام) ويعطفون عليهم . فعاهد الله ان يخرج الخلافة الى افضل آل علي (ع) ان ظفر بأخيه . وفعلا ادى انتصاره الى ان يبر بوعده فعين الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) خلفا له ، وبمشورة الفضل بن سهل .

ويبدو انه كان مضطرا لتنفيذ خطته مراعاة لخواطر الخراسانيين نلاحظ ذلك من خلال محاورته مع الامام الرضا (ع) فقد هدده حين امتنع عن القبول قائلا : (لا بد من قبولك ما اريد ، فأني لا اجد محيصا عنه ...) .

و اما من حيث النتائج فلعل ابرزها انتقال الخلافة الاسلامية من البيت العباسي الى البيت العلوي وردة الفعل العنيفة في بغداد وبعض الامصار التي جاءت سلبية تجاه هذا الحدث ، حيث بايع اهل محلة الحربية في بغداد ابراهيم بن المهدي . والملفت للنظر ان الفضل بن سهل قد كتم عن المأمون احداث بغداد حتى اخبره الامام الرضا (ع) بذلك .

اما من حيث الامصار فقد انكر والي البصرة العباسي اسماعيل بن جعفر بن سليمان ابن علي تصرف الخليفة واعتبره خروجا على الاسرة العباسية فامتنع عن لبس الخضرة واعلن عن خلع المأمون . وبايع اهل مكة علي الرضا ولم يبد اهل المدينة اية معارضة عندما ارسل الخليفة نص البيعة ليقرأ عليهم .

أحداث العودة الى بغداد

ادرك المأمون بعد ان اطلعه الامام الرضا (ع) على الاوضاع المتردية في انحاء الدولة ان لا جدوى من البقاء في مرو ، وان بغداد لا تستطيع ان تعيش بدون خليفة ، وشعر بالاضافة الى خط الاضطرابات التي نشبت في مصر والجزيرة بخطر حرب اهلية جديدة بين افراد الاسرة العباسية وان سياسة الفضل بن سهل سوف تؤدي الى ضياع ملكه ، كما بدأت تظهر في الشمال حركات مذهبية قائمة على تعاليم ابي مسلم والمقنعة انتشرت في اذربيجان بفعل ظهور بابك الخرمي الذي استقطب الكثير من الاتباع وأخذت حركته تتسع ونفوذه يتعاظم حتى راح يهدد الاطراف الاسلامية . واكد له قادته ما قاله الامام الرضا (ع) وأشاروا عليه ان يسير على عجل الى بغداد ليستدرك امره والا خرجت الخلافة من يده فقرر العودة الى بغداد واتجه اليها في عام (202 هـ / 817 م) .

وتمثل هذه العودة الى العاصمة المركزية تغييرا جوهريا في مسار دولة الخلافة العباسية وهذا يعني زوال الصبغة الفارسية التي اصطبغت بها طوال الفترة التي قضاها المأمون في مرو والعودة الى الاصول العربية التي تمثلها بغداد حاضرة آبائه وهذا ما ازعج الفضل بن سهل لانها تحمل في طياتها ضياع نفوذه وسلطانه .

ويبدو ان المأمون شعر بعدم رضا وزيره عن هذا التغيير المزمع احداثه وانه سوف يشكل عائقا امامه حين يقدم مصالحة اسرته وأهل بغداد يضاف الى ذلك فقد رأى المأمون من خلال تصرفات وزيره انه يخطط لكي يسيطر سيطرة تامة على الدولة العباسية من داخلها وتوضحت له جوانب السياسة التي كان ينتهجها والتي تثبت انحرافه وتشكل تناقضا كاملا مع المصالح العليا للدولة العباسية لذلك اضحى التخلص منه ضرورة سياسية .

ولم يكد المأمون يبدأ رحلته الى بغداد ، وما ان وصل الى مدينة سرخس حتى دبر مقتل الفضل بن سهل في (شهر شعبان عام 202 هـ / شهر شباط 818 م) ثم استأنف رحلة العودة الى بغداد .

ولما وصل الى طوس توفي الامام الرضا (ع) فجأة في اوائل عام (203 هـ / 818 م). فدفنه المأمون فيها بجوار قبر والده الرشيد . وقد اختلف المؤرخون في الكيفية التي مات عليها ، وتتهم الشيعة المأمون بأنه سمه في عنب واطلقوا على مدينة طوس اسم (مشهد) . وكانت وفاة هذين الرجلين من اهم الاسباب التي حملت العلويين على كراهية المأمون .

ثم حدث ان واصل المأمون رحلته فوصل الى همذان ولم يكد يقترب من بغداد حتى سارع اهلها الى خلع ابراهيم بن المهدي وبايعوا المأمون وذلك في السابع عشر من (شهر ذي الحجة عام 203 هـ / شهر حزيران عام 819 م) ودخل المأمون بغداد يوم السبت (لأربع بقين من شهر صفر عام 204 هـ / شهر آب عام 819 م) وكان لا يزال هو وجميع من معه يرتدون الملابس الخضراء و يحملون الرايات الخضراء فانهالت الاحتجاجات من بني هاشم وانصارهم حتى وجد نفسه مضطرا بعد اسبوع واحد للعودة الى لبس السواد بعد ان ادرك عمق المشاعر التي يكنها بنو العباس تجاه العلويين .

الحركات المناهضة للدولة في عهد المأمون

أ- الحركات العلوية

اولا- حركة ابي السرايا

انتهز العلويين حالة عدم الاستقرار التي مرت بها الخلافة العباسية نتيجة الصراع بين الامين والمأمون فقاموا بعدة حركات مناهضة في العراق والحجاز واليمن لعل اخطرها حركة ابي السرايا السري بن منصور الشيباني الذي قام بأمر محمد بن ابراهيم بن

اسماعيل المعروف بابن طباطبا في اواخر (شهر جمادى الثانية عام 199 هـ / شهر شباط عام 815 م) في مدينة الكوفة وتعتبر هذه الحركة حلقة في سلسلة حركات الشيعة الزيدية .

واتسع نفوذ ابي السرايا بعد ان بسط سيطرته على البصرة والحجاز واليمن وأوقع الهزيمة بالجيوش العباسية التي ارسلها الحسن بن سهل للتصدي له .

ويبدو ان ابا السرايا اراد الاستئثار بالسلطة فتخلص من طباطبا بالسم و ولى مكانه محمد بن زيد العلوي وكان غلاما .

وضرب ابو السرايا الدراهم وأرسل كسوة الى الكعبة كتب عليها : ((أمر به ابو السرايا داعية آل محمد لكسوة بيت الله الحرام ، وان يطرح عنه كسوة الظلمة من ولد العباس)) .

نتيجة لهذه النجاحات التي احرزها اضطر الحسن بن سهل الى تكليف هرثمة بن اعين بإخماد حركته . وقد نجح هذا القائد في تنفيذ مهمته فدخل الكوفة وفر منها ابو السرايا الى السوس من بلاد فارس ثم الى الجزيرة حيث قبض عليه في جلولاء وسيق الى الحسن بن سهل بالنهراوان فضرب عنقه .

الواضح ان هذه الحركة تختلف عن الحركات العلوية التي قامت في العصر العباسي الاول . اذ خطط لها و وجهها رجل من غير آل البيت (عليهم السلام) وتميزت باتخاذها الكوفة مركزا لها وهي المرة الاولى التي تشهد فيها هذه المدينة حركة علوية في العصر العباسي الاول .

اما فيما يتعلق بأسباب اخفاقها رغم اتساع نفوذها والانتصارات التي حققتها فتعود الى اربعة :

الاول : عدم انتماء ابي السرايا الى البيت العلوي ورغم دعوته للعلويين فان الشيعة سارعت الى تأييد زعماء علويين اخرين في مقدمتهم محمد بن الامام جعفر الصادق (ع) وانفضوا من حوله مما ادى الى اضعاف قوته .

الثاني : أثار ماضي ابي السرايا الشبهات حوله . فقد عمل هذا الرجل في بادئ الامر تحت امرة القائد العباسي هرثمة بن اعين ثم تأخر بسبب تأخر ارزاقه .

الثالث : اتصفت حركة ابي السرايا بالعنف والقسوة مما ادى الى امتناع الكثير عن تأييدها وقد حد ذلك من اندفاعها وأضعفها .

الرابع : أثارت اعمال العلويين من اتباع ابي السرايا بمكة سخط جميع المسلمين مما ادى الى نقمتهم على هذه الحركة خاصة حين جرد ابو السرايا الكعبة من سوتها ثم كساها بأخرى تتضمن شعارات معادية للعباسيين .

ثانيا – حركة محمد بن الامام جعفر الصادق (ع)

شهد عصر المأمون قيام حركة علوية اخرى تختلف في طابعها ومكان انطلاقها عن باقي الحركات تزعمها محمد الديباج بن الامام جعفر الصادق (ع) في عام (200 هـ / 816 م) في بلاد الحجاز وبويع له في مكة بإمرة المؤمنين فقبلها بعد تردد .

ويبدو ان دولة الخلافة العباسية كانت منهمكة بمشاكلها الداخلية الكثيرة فلم تبد اهتماما جديا بهذه الحركة التي لم تتصف بالخطورة بفعل انها انحصرت في مكة مما اتاح للخلافة القضاء عليها بسهولة واضطر محمد الديباج الى خلع نفسه امام الملأ في مكة .

ولعل اهم اسباب فشل هذه الحركة تعود الى :

1_ افتقارها الى دقة التنظيم وقاعدة شعبية تستند عليها . وعدم انتشارها في الامصار . وتقصير اتباعها في مواجهة العباسيين .

2_ تردد محمد بن جعفر في الدعوة لنفسه وكراهيته لذلك وجاء قبوله نتيجة الحاح آل الامام علي بن ابي طالب (ع) وابنه علي .

3_ اعتماده على الانصار من ذوي السيرة السيئة : غوغاء اهل مكة ، بعض السودان ، ابنه علي ، مما صرف المؤيدين عنه .

4_ تردد بعض اهل مكة في البيعة له كما لم يتمسك من بايعه بولائهم وتأييدهم .